المناسبة بين سورتي التغابن والمنافقون

دراسة تطبيقية

إعداد/

د/ هنيدي هنيدي عبدالجواد

مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات

الإسلامية والعربية ـ بنين ـ القاهرة

المناسبة بين سورتي التغابن والمنافقون دراسة تطبيقية

هنيدي هنيدي عبد الرحمن عبد الجواد

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية ــ بنين ــ بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: henedyabdelgawad@gmail.com

الملخص:

القرآن الكريم بناء محكم، تتآلف أجزاؤه، وتتناسب آياته، وتترابط سوره، ولا ينفك بعضها عن بعض كما يتوهم الواهمون، وعند تأمل المناسبات بين الجمل والآيات والمقاطع والسور تخرج بلطائف ونكات ودرر، وكذلك أغراض جزئية وكلية للقرآن الكريم، تجعلك تشعر بإعجاز القرآن الكريم وبلاغته.

وعلم المناسبات علم يعتمد على إعمال العقل والفكر وكثرة التأمل وقوة التدبر في أوجه الربط والمناسبة، وقليل من المفسرين من عُني بعلم المناسبات كالبقاعي والرازي والسيوطي.

ولذلك قمت باختيار سورتين من سور القرآن الكريم، وهما التغابن والمنافقون، لإبراز أوجه المناسبة بين السورتين، من حيث الأغراض الجزئية والكلية، وفواتح السور وخواتيمها، ولبيان تلاحم السور وترابطها.

وأوصي الباحثين بدراسة علم المناسبة دراسة تطبيقية على سور القرآن الكريم وآياته، لاستنباط لطائفه ودرره.

الكلمات المفتاحية: المناسبة، التغابن، المنافقون، دراسة، تطبيقية.

The occasion between the walls of the two strangers and the hypocrites is a practical study

Henidi Henidi Abdul Rahman Abdul Jawad
Department of Interpretation and Qur'anic Sciences, School of Islamic and Arab Studies Benin, Cairo, Al-Azhar University, Egypt .
E-mail: henedyabdelgawad@gmail.com

Abstract:
The Qur'an is an elaborate building, its parts are composed, its verses are aligned, its walls are interlinked, and each other is always in the same way as the illusionist, and when you contemplate the occasions between sentences, verses, passages and surfacings come out with taif, jokes and dreer, as well as partial and total purposes of the Qur'an, make you feel the miracle of the Holy Quran and its eloquence.
The science of events is based on the realization of reason and thought, the abundance of meditation and the power of reflection in the connections and the occasion, and a few interpreters from me in the science of events such as Bekaa, Razi and Al-Suyuti .
Therefore, I have chosen two suriss of the Qur'an, the hypocrites and hypocrites, to highlight the appropriate aspects between the two walls, in terms of partial and total purposes, and to show the harmony and interdependence of the wall.
The researchers recommended the study of the science of the occasion a practical study on the wall and verses of the Qur'an, in order to devise a ta'ad and his dorre.

Keywords: appropriate, hypocritical, hypocritical, study, applied.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد، اللهم صل وسلم، وزد وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين وبعد،،،

فالقرآن الكريم هو الكتاب الخالد المعجز بنظمه، وتركيبه، وأسلوبه، وفصاحته، وبلاغته، وقصصه، وأخباره الغيبية، وأيضا من بين أوجه إعجازه، بناءه المحكم، وتآلف أجزائه، وتناسق معانيه، وتناسب آياته ومقاطعه، وترابط سوره.

وهذا البناء المحكم والترتيب الدقيق لآيات القرآن وسوره من وحي الله عز وجل وتوقيفه، لم يكن عبثا، وما كان هذا الترتيب بين أجزائه إلا لوجود مناسبة قوية، يمكن للعلماء والمفسرين إدراكها بالتدبر والتفكر والملاحظة وإعمال العقل، فيكشف لطائف ونكات ودرر تحت طياتها.

وكشف المناسبة بين التراكيب والجمل وآيات السورة ومقاطعها، يعطيك أغراضا ومقاصد جزئية، لها علاقة وطيدة، بعضها ببعض، فتصل إلى الغرض والمقصد الكلي للسورة القرآنية، والذي بدوره تربطه علاقة قوية باسم السورة.

وعندما تعقد مقارنة بين سورة من سور القرآن الكريم والسورة التي قبلها، تجد قوة المناسبة والترابط والتلاحم بينهما، في المقاصد الكلية والجزئية، والمناسبة بين مطلع السورة وخاتمتها وخاتمة ما قبلها، ومن خلال الربط بين الأغراض الكلية للسور القرآنية ومقاصدها، يمكنك الوصول إلى الأغراض الكلية للقرآن الكريم ومقاصده.

وهذا يدل على أن القرآن الكريم عبارة عن سلسلة متعددة الأجزاء والعقد، يربطها رباط محكم قوي، كل جزء مرتبط بالآخر، في تناسق وتناغم، حتى تصل إلى أغراض الكلية للقرآن الكريم ومقاصده.

ولأهمية علم المناسبة، ودوره في كشف اللطائف والنكات، واعتماده على قوة الملاحظة والتدبر والتفكر في كشف الروابط بين آيات القرآن الكريم وسوره، أردت أن أختار ــ بعون الله وتوفيقه ــ أنموذجا عمليا، لأطبق عليه علم المناسبة، وقد وقع الاختيار على سورتي التغابن والمنافقون، لإظهار المناسبة بينهما، ومدى ترابطهما، وقد أسميت هذا البحث: "**المناسبة بين سورتي التغابن والمنافقون دراسة تطبيقية**".

وقد وقع هذا البحث في مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهرس المراجع والمصادر، وفهرس المحتويات، أما المقدمة فقد ذكرت فيها أهمية البحث وسبب اختياري له، وأما الأربعة مباحث فهي:

المبحث الأول: تعريف المناسبة، وأهميتها، وأنواعها.

المبحث الثاني: الغرض العام لسورتي التغابن والمنافقون.

المبحث الثالث: الأغراض الجزئية لسورة التغابن ومناسبتها لسورة المنافقون.

المبحث الرابع: المناسبة بين مطلع السورة وخاتمتها.

وأما الخاتمة فقد ذكرت فيها أهم النتائج والمقترحات.

وأسأل الله العون والتوفيق

المبحث الأول

تعريف المناسبة، وأهميتها، وأنواعها

تعريف المُناسَبة لغة:

عند التأمل في مادة"نَسَب" في معاجم اللغة العربية نجد أن معناها يدور حول المُشاكلة والمُشاركة والمُقاربة بين شيئين.

قال الرازي: "وبينهما مُنَاسَبَةٌ أي مُشاركة"[١]. وقال ابن منظور: "وتقول ليس بينهما مُناسَبة أَي مُشاكَلَةٌ"[٢].أ.ه

قال الزمخشري: "ومن المَجاز: بين الشيْئين مناسبةٌ وتناسُب، ولا نسبةَ بينهما، وبينهما نسبةٌ قريبةٌ"[٣].أ.ه ولذلك قال السيوطي: "المُناسبة: "المُشاكلة والمُقاربة"[٤].أ.هـ

اصطلاحا:

قال البقاعي: "علمٌ تُعْرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن، وهو سِرُّ البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المَقال لِما اقتضاه الحال"[٥].أ.ه

---

[١] مختار الصحاح، (ص: ٦٨٨).

[٢] لسان العرب، (١/ ٧٥٥).

[٣] أساس البلاغة، (٢/ ٤٢٧).

[٤] الإتقان في علوم القرآن، (٣/ ٣٧١). والبرهان في علوم القرآن، (١/ ٣٥). والأصلان في علوم القرآن، (ص: ٦١).

[٥] نظم الدرر: ٦/١. والإمام البقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن، (ص: ١٤١).

أهميتها:

علمُ المُناسبات له شرفٌ عظيمٌ، وأهميةٌ بالغةٌ، فمعرفة المُناسبة بين الآيات والمقاطع والسُّور، لها فوائدٌ عديدةٌ:

منها: إظهار وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم، وهو كونه بناءً محكمًا، تتآلف أجزاؤُه وتتَّحد وتتَرابط، لتصل إلى أغراضِه الكلية ومقاصدِه العُليا، حتى وإن تعدَّدت آياتُه وسورُه، وتنوعت موضوعاتُه وقصصُه.

قال السُّيوطي: "وفائدةُ معرفة المُناسبة: جعلُ أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البِناء المُحْكم المتلائم"[(١)].

وقال الزركشي نقلًا عن بعض الأئمة: " من محاسن الكلام أن يرتبط بعضُه ببعض لئلا يكون منقطعًا"[(٢)].أ.ه

ومنها: استنباط اللطائف والدقائق والنِّكات من الربط بين الجُمل والآيات والمقاطع والسور، واستخراج الأسْرار الكامِنة تحت المُناسبات، فتكْثُر المعاني والهدايات والجماليات والأحكام، وهذا إثْراء لمعاني القرآن الكريم.

قال الرازي: " أكْثر لطائف القرآن مُودَعة في الترْتيبات والرَّوابط"[(٣)].أ.هـ

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (٣/ ٣٧١). والبرهان في علوم القرآن (١/ ٣٦). والأصلان في علوم القرآن (ص: ٦١).

(٢) البرهان في علوم القرآن، (١/ ٣٦).

(٣) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب، (١٠/ ١١٣).

ومنها: إعمالُ العقْل وقوةُ التدبر والتفكُّر في آيات القرآن الكريم وسوره، لاستنباط المناسبة، إذ إنها تعتمد على قوة التدبر والملاحظة والتفكُّر، وهو مما أمرنا القرآن به.

يقول الدكتور محمد القِيعي: "واستنباط الرابط أساسُه قوة ملاحظة المستنبِط؛ ولذا يختلف الرابط باختلاف الناس جودة وركاكة"[١].

ومما يدل على أهميَّة علم المُناسبة:

أن العلماء وضعوه ضمن المنهج الذي ينبغي على المُفسِّر اتِّباعه عند التصدي لتفسير القرآن الكريم لاستنباط دُرره ولطائفه.

قال الذهبيُّ: " المنهج الذى يجب على المفسِّر أن ينهجه فى تفسيره ....**ثالثًا:** مراعاة التَّأليف والغرض الذى سِيق له الكلام، والمؤاخاة بين المفردات. **رابعًا:** مراعاة التَّناسب بين الآيات، فيبيِّن وجه المناسبة، ويربط بين السابق واللاحق من آيات القرآن، حتى يوضِّح أن القرآن لا تفكك فيه، وإنما هو آيات متناسبة يأخذ بعضها بحُجز بعض"[٢].أ.ه

حتى إن الدكتور محمد القيعي جعل علم المناسبة أول ما ينبغي على المفسِّر بيانه وإظهاره فقال: "اعلم أن أول ما يجب على المفسِّر بيانه إظهار الرابط بين الآيات والسُّور، ومبدأ السورة وختامها، فأكثر لطائف القرآن كامنة تحت الروابط والترتيب"[٣].أ.هـ

---

[١] الأصلان في علوم القرآن، (ص: ٦١).

[٢] التفسير والمُفسِّرون، (١/ ٢٥٩).

[٣] الأصلان في علوم القرآن، (ص: ٦١).

وقد عُني بهذا العلم قلة من العلماء في كتبهم، منهم: الإمام البقاعي في كتابه" نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسور"، والسُّيوطي في كتابه" مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع – بحث في العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتيمها"، والرازي في كتابه" مفاتيح الغيب".

قال السُّيوطي: "وعلمُ المُناسبة علمٌ شريفٌ قلَّ اعتناءُ المفسرين به لدقته، وممن أكثر فيه الإمام فخر الدين، وقال في تفسيره أكثر لطائف القرآن مُودَعة في الترتيبات والروابط"[1].أ.ه

وتظهر أهميتُه كذلك إذا علمنا أن ترتيب الآيات والسور توقيفيٌ من عند الله عز وجل، وما كان هذا الترتيب إلا لأسرارٍ ربانيةٍ، وحكمٍ إلهيةٍ، يظل العلماء والمفسرون على مدى القرون يُعْملون عقولَهم وتفكيرهم لاستنباطها واستخراجها.

وقد ذكر الزُّرقاني الإجماع على ذلك فقال: "وممن حكى هذا الإجماع جماعة منهم الزَّركشي في البرهان وأبو جعفر في المناسبات إذ يقول ما نصه: ترتيب الآيات في سُورها واقع بتوقيفه وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين"[2].

وقد ذكر الزركشي أن علمَ المناسبة مبنيٌّ على أن ترتيب السور توقيفيٌّ، فقال: "قلتُ: وهو ــ أي علم المناسبة ــ مبنىٌّ على أن ترتيب السُّور توقيفىٌّ وهذا هو الراجح"[3].

---

[1] الإتقان في علوم القرآن، (٣/ ٣٦٩). والبُرهان في علوم القرآن، (١/ ٣٦).

[2] مناهل العرفْان، (١/ ٢٤٠).

[3] انظر البُرهان في علوم القرآن، (١/ ٣٨).

أنواعُ المُناسبات:

١ــ مُناسبةُ الآية لما قبلها.

٢ــ مُناسبةُ الجُمْلة لما قبلها.

٣ــ مُناسبةُ المقْطع لما قبله.

٤ مُناسبةُ السُّورة لما قبلها.

٥ــ مُناسبةُ مطْلع السُّورة لخاتمة ما قبلها.

٦ــ مُناسبةُ مطْلع السُّورة لخاتمتها.

٧ــ مُناسبةُ اسْم السُّورة لمقْصِدها.[١]

التَّعريف بسُورة التَّغابن:

ــ هِيَ مَدَنِيَّةٌ فِي قَوْلِ الْجُمْهُورِ، وَعَنِ الضَّحَّاكِ هِيَ مَكِّيَّةٌ. وبالتأمل في آياتها نجد أنه يغلب عليها الطابع المكي.

ــ عدد آياتها: ثَمَانِي عَشْرَةَ آية.

ــ ترتيب المُصْحف: وقعت بعد سورة المنافقون، وقبل سورة الطَّلاق.[٢]

التعريف بسُورة المنافقون:

ــ هِيَ مَدَنِيَّةٌ بِالِاتِّفَاق.

ــ عدد آياتها: إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً.

ــ ترتيب المُصْحف: وقعت بعد سورة الجمعة، وقبل سورة التغابن. [٣]

******

---

[١] انظر البُرْهان في علوم القرآن، (١/ ٣٧ــ ٤٠). وانظر الإمام البِقاعي ومنهاجه في تأويل بلاغة القرآن، (ص: ١٤٣ــ ١٤٥).

[٢] انظر التَّحرير والتَّنوير، (٢٨/ ٢٥٨). وتفسير البَغوي، (٥/ ١٠٢).

[٣] انظر التحرير والتنوير، (٢٨/ ٢٣١). وتفسير البغوي، (٥/ ٩٨).

المبحثُ الثَّاني

الغرضُ العام لِسُورتي التَّغابن والمُنافقون

إذا أردنا أن نُحدِّد الغرض العام لسُورة التغابن، ينبغي أن ننْظر إلى الرُّوح السَّارية في السُّورة، والمواضيع والأفكار التي تطرَّقت لها السُّورة.

يقول الدكتور مُحمد عبد المنعم القيعي: "والقاعدة: أنك إذا أردت أنْ تعرف المُناسبةَ بين آياتِ السُّورة الواحدة؛ فتعرَّف على الغرض الذي من أجله سِيقت السُّورة، والمُقدِّمات المُوصِّلة إليه قُرْبًا وبُعْدًا، واللوازم في جُزئيات تلك المقدمات التي تنتقل بالسَّامع من حالةٍ إلى حالة"[1].

فعند التَّأمل في مقاطع السُّورة وجُزئياتها نجد أنَّها تتحدث عن سنةٍ من السُّنن الكونية، وهي التعددية الكونية، فقد خلق الله البشر متفاوتين في العقائد والأفكار والسُّلوكيات، بناءً على اختيار عقولهم التي ميَّزهم اللهُ بها، ووهبهم إياها، بعد أن بيَّن لهم طريق الحق وطريق الضَّلال.

فمنهم من سلك في الدنيا طريقَ الإيمان والحق والرَّشاد، ومنهم من سلك طريق الكفر والضَّلال، فتأتي سورةُ التغابن **لتُبْرز من فاز منهم يوم القيامة ومن خسِر**، فتبين جزاء المؤمنين المتقين الرابحين الفائزين بهداية القلب وتكفير السَّيئات ودخول الجنان، وكذلك مصير الكافرين، الذين ينتظرهم العذابُ العظيم، والعقابُ الأليم، والخسرانُ المبين يوم الجزاء، ومن هنا كان **الغرض العام لسورة التَّغابن هو الخُسْران والفوز يوم القيامة.**

---

[1] الأصلان في علوم القرآن، (ص: ٦٤).

قال البقاعي عن مَقْصِدِ سورة التغابن:" مقصودُها الإبلاغ في التَّحذير مما حذَّرت منه المنافقون، بإقامة الدَّليل القاطع على أنه لا بد من العرْض على الملك المجازي على النَّقِير والقِطْمِير يوم القيامة، يوم الجَمْع الأعظم، واسْمُها التَّغابن واضح الدَّلالة على ذلك، وهو أدل ما فيها عليه فلذلك سُمِّيت بِه"(١).

وقال أيضا: " ﴿لِيَوۡمِ ٱلۡجَمۡعِ﴾، لأجل ما يقع في ذلك اليوم الذي يجمع فيه أهل السماوات وأهل الأرض من الحساب والجزاء الذي يكون فوْزا لناسٍ فيكونون غابِنين، ويكون خيْبةً لناسٍ فيكونون مغْبُونين، وكلٌّ منهم يَطْلُبُ أن يكون غابنًا"(٢).

وقد اتضح هذا الغرض من خلال اسْتقراء آياتِ السُّورة، كما يلي:

١ــ سُمِّيت هذه السُّورة باسْم "التَّغابن"، وهذا اللفظ في اللغة، له دَّلالةٌ واضحةُ على النقْص والخُسْران.

قال الرَّازي: " وغَبِنَ رأْيه من باب طرِب إذا نقصه فهو غَبِينٌ أي ضعيفُ الرأي"(٣).

قال القُرْطبي: " والغَبْن: النَّقْص، يُقال: غَبِنه غبْنا إذا أخذ الشئ منه بدون قِيمته"(٤).

---

(١) نظم الدرر، ٣/٨.بتصرف

(٢) المرجع السابق ، (٨/ ١٧).

(٣) مُخْتار الصِّحاح، ٤٨٨/١.

(٤) تفْسير القُرطبي، ١٣٦/١٨.

وجاءت صيغةُ "التَّغابن" على وزن "تفاعُل" الدَّال على المُفاعلة والمُشاركة بين طرفين، قال الزَّمخشري: "وتغابنوا : غبِن بعضُهم بعضًا"[٥]، وقال ابن عاشور:" و{التغابُن}: مصدر غابنة من باب المُفاعلة الدَّالة على حُصُول الفِعْل من جانبين أو أكثر"[١] ، أي أن كلًا من المؤمنين والكافرين يغبِن بعضُهم بعضًا، أي يُنقِص بعضُهم من مقاعد بعضٍ في الجنة والنار.

وقال الرَّازي في مادة"غبِن": " ومنه قِيل يومُ التَّغابن ليوم القِيامة لأن أهل الجنة يغبِنون أهل النار"[٢].

وتوضيحُ ذلك: أن المؤمنين يأخُذون مقاعدَ الكافرين في الجنة، ويخسُرها الكافرون، وكذلك الكافرون يأخذون مقاعد المؤمنين في النار ويخسُرها المؤمنون، ويؤكِّد ذلك حديثُ النَّبِيِّ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ فِي جَنَازَةٍ فَأَخَذَ عُودًا فَجَعَلَ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَقَالَ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنْ النَّارِ أَوْ مِنْ الْجَنَّةِ، قَالُوا أَلَا نَتَّكِلُ، قَالَ: اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى}[٣] الْآيَةَ[٤].

---

[٥] أساس البلاغة، ٢/ ١٤٩، مادة: غبن.

[١] التحرير والتنوير، ٢٨/ ٢٤٧.

[٢] مختار الصحاح، ٤٨٨/١، مادة: غبن.

[٣] سورة الليل، الآية:٥.

[٤] صحيحُ البُخاري، كتاب العلم، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ}القمر:١٧، ١٣/١٩، رقم: ٧٥٥٢، من حديث علي بن أبي طالب.

واسم السُّورة غالبًا ما يدل على غرضها العام ومقصودها، قال البِقاعي:"اسم كلِ سُورة مترجم عن مقصودِها، لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مُسمَّاه، وعنوانه الدَّال إجمالًا على تفصيل ما فيه"[٥].

٢ــ انفردت هذه السورة عن بقيَّة سُور القرآن بذكر لفظ " التَّغابن " والذي يدل على خُسْران أهل الكفر والضَّلال يوم القيامة كما في قوله عز وجل: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۝٩ ﴾ التغابن: ٩.

وعندما نُدقق النَّظر في المناسبة بين الجملتين ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ﴾ ﴿ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ﴾ يظْهر لنا من خلالها الغرض العام للسُّورة الكريمة، وهذه المناسبة تكْمُن في أن الغرض من جمع المؤمنين والكافرين ــ وهما محور الحديث في السورة ــ يوم القيامة، هو بيان المغْبُون الخاسِر من الغابن الفائز الرابح، ومن هنا ناسب أن يأتي يوم التغابن بعد يوم الجمع، وقد تجلَّت الغايةُ من الجمع في قوله عز وجل: ﴿ وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ۝٧ ﴾ الشورى: ٧.

قال البقاعي مبينًا المناسبة بين الجملتين: " ﴿ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ﴾ لأجل ما يقع في ذلك اليوم الذي يجمع فيه أهل السماوات وأهل الأرض من الحساب والجزاء، الذي يكون فوزًا لناس فيكونون غابنين، ويكون خيبة لناس فيكونون مغْبُونين، وكلٌ منهم يطلب أن يكون غابنًا "[١].

---

[٥] نظم الدرر، ١/ ١٢.

[١] نظم الدرر، (٨/ ١٣). وانظر التحرير والتنوير، (٢٨/ ٢٤٦).

وكأن الله عزَّ وجل أراد من خلال هذا الغرض أن يلْفِت عُقولَ الناس إلى أن التغابن الحقيقي من فوزٍ أو خسرانٍ يكون يوم القيامة وليس في الدنيا، قال البيضاوي: " ﴿ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ﴾ واللام فيه للدَّلالة على أن التغابن الحقيقي هو التغابن في أمور الآخرة لعِظمها ودوامِها"[٢].

٣ــ مطْلع السورة الكريمة يُنْبِئ عن الغرضِ العام لها، حيث ذكرت الآيةُ الثَّانية سنةً من سنن الله الكونية، وهي تقسيم الناس إلى فريقين، كافرين ومؤمنين، خاسرين وفائزين، مغبونين وغابنين، ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾ التغابن: ٢.

ونلْمحُ في هذه الآية الكريمة تقديم الكفر على الإيمان، أي تقديم الخسران على الفوز، وهو ما يتناسب مع اسم السورة، الذي يدل على الغَبْن والخسران، وكذلك يتناسب مع مضمونها، حيث إن أكثر آيات السورة الكريمة تتحدث عن المشركين، وجرائمهم، وأفعالهم القبيحة، ومواقفهم العنيدة من رسلهم، وإعراضهم عن الهدى، وإنكارهم البعث والدار الآخرة، ومصيرهم السيء يوم القيامة، وعذابهم وعقابهم يوم الحساب، ولا شك أن في كل ذلك نقصانًا بينًا وخسرانًا واضحًا في الدنيا والآخرة.

قال أبو السعود: " وتقديم الكفر لأنه الأغلب فيما بينهم، والأنسب بمقام التوبيخ"[١].

---

[٢] تفسير البيضاوى، ٥/ ٣٤٦.

[١] تفسير أبي السعود، ٨/ ٢٥٥.

وعند التدقيق في فاصلة الآية الكريمة، نجد أنها تتناسب مع ما قبلها في الآية، إذ إن الله عز وجل لمَّا ذكر الكفر والإيمان، بيَّن أنه بصيرٌ بأعمالهم، من الكفر والإيمان، والضَّلال والهدى، والحق والباطل، وسيجازيهم عليها يوم التَّغابن، يوم الخُسْران أو الفوز، ونلْمح في هذه الفاصلة تهديد الكافرين بالخسران المبين يوم الحساب، لِعِلْم الله تعالى الواسع بأعمالهم، وهو ما يتناسب مع الغرض العام للسورة.

قال الزمخشري: " ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ أي عالمٌ بكفركم وإيمانكم اللذين هما من عملِكم"[٢] .

وقال البيضاوي: "﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ فيعاملكم بما يناسبُ أعمالَكم"[٣].

٤ــ يكْثُر في السورة الكريمة التكرارُ من بيان سعة علم الله تعالى بخفايا الأعمال ودقائقها، وظاهرها وباطنها، وخبايا النفوس، وضمائر القلوب والصدور، كما في قول الله عز وجل: ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾، ﴿ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٤ ﴾ التغابن: ٤، ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ ٨ ﴾ التغابن: ٨، ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ١١ ﴾ التغابن: ١١، ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨ ﴾ التغابن:١٨.

ثم بعد الحديث عن سعة علمه عز وجل بأعمال الكافرين والمؤمنين، يكون المآل والمرجعُ إليه ﴿ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣ ﴾ التغابن: ٣، ﴿ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٠ ﴾ التغابن: ١٠.

---

[٢] تفسير الكشاف، ٤/ ٥٤٧ــ ٥٤٨.

[٣] تفسير البيضاوى، (٥/ ٣٤٤).

والغرضُ من رجوع العباد إليه وحْدَه هو إخبارهم بأعمالهم، ﴿ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ التغابن: ٧.

وهذا التناسب والترابط والتناغم والترتيب الدقيق بين تلك الآيات الكريمة، يدل على تأكيد الوعيد والوعد، وعيد الكافرين بالخسران الكبير والعقاب الأليم، ووعد المؤمنين بالفوز والنَّجاة والنَّعيم المقيم، وهذا هو الغرض العام للسورة.

ويبين الزمخشري سر تكرار العلم في السورة الكريمة فيقول: " وتكرير العِلم في معنى تكرير الوَعيد، وكلُّ ما ذكره بعد قوله تعالى: ﴿ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ ﴾ كما ترى في معنى الوعيد على الكفر، وإنكار أن يُعصى الخالق، ولا تُشْكر نعمتُه"[1].

قال الرازي: " وهذه السورة على ما هو التهديد البالغ لهم ــ أي للمنافقين والكافرين ــ، وهو قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾"[2].

وهذا الغرض العام بدوره لا بد أن يسبقه مراحل متناسقة، فلا يمكن أن يتحقق الحكم بالخسران والفوز يوم القيامة، إلا بعد علم الله عز وجل بدقائق الأعمال، والرجوع إليه وحده، وإخبار العباد بأعمالهم الصالحة والسيئة، فانظر كيف أن آيات السورة دفعتنا دفعًا وقادتنا إلى الغرض العام لها، بأسلوبٍ محكمٍ، ونظامٍ بديعٍ، وترتيبٍ دقيقٍ، ومعانٍ متناسقةٍ.

---

[1] تفسير الكشاف، (٤/ ٥٤٩). ونظم الدرر، (٨/ ٩).

[2] تفسير الرازي، (ص: ٤٤٧٤) بتصرف.

وقد ذكر ابن عاشور أن الحكم والجزاء لا بد أن يسْبِقه علمٌ فقال: " وإنباؤهم بما عملوا كناية عن محاسبتهم عليه، وجزائهم عما عملوه، فإن الجزاء يستلزم علم المجازَى بعمله الذي جُوزي عليه"(١).

٥ــ كما ذُكر لفظ " الفوز" في خاتمة آية من آيات السورة، في قوله: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ التغابن: ٩، والذي يدل على فوز أهل الإيمان والعمل الصالح بالنعيم المُقيم والثواب العظيم ومغفرة الذنوب يوم القيامة.

والغرض من ذِكر هذا اللفظ، أن لا يتوهم واهمٌ أن كل الناس يوم الحساب مغْبُونون، بناءً على تسمية السُّورة بالتغابن، فجاء البيان من الله عز وجل أن الغبن والخسارة لا تكون إلا لأهل الكفر والضلال، أما أهل الإيمان والعمل الصالح فلهم النعيم المقيم والثواب العظيم، وذلك هو الفوز الحقيقي، فكانت المناسبة قوية وواضحة بين هذا اللفظ واسم السورة، وبذلك يكون الخسران والفوز هما المكونان الرئيسان للغرض العام للسورة.

يقول الدكتور عبدالكريم الخطيب مبينا الغرض من ذكر فوز المؤمنين: " هو تعقيبٌ على هذا الوصف الذي وُصف به يوم القيامة، بأنه يوم التغابن، ويراد بهذا التعقيب دفعُ ما يقع من وهمٍ يجعل من هذا اليوم يوم سوءٍ للناس جميعا، وأنهم جميعًا واقعون تحت مشاعر الغبن، التي من شأنها أن تملأ النفس حسرةً وألمًا"(١).

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٨/٢٤٣.

(١) التفسير القرآني للقرآن، ج ١٤، ص: ٩٨٣.

الغرضُ العام لِسُورة المُنافقون

لكي نُحَدِّد الغرض العام لِسُورة المنافقون ينْبغي أن ننْظر إلى الرُّوح السَّارية في السُّورة الكريمة، فعند التأمل في مقاطع السُّورة وجُزْئياتها، نجد أنها تتطرق إلى صفات المنافقين الظاهرية والباطنية، من التكبر والغرور والكذب والنفاق وصدِّهم عن سبيل الله، ووقوفهم في وجه الدعوة الإسلامية، ودعوة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى التفرق، وترك الإنفاق على فقراء المهاجرين، ومنع الالتفاف حوله صلى الله عليه وسلم.

وما كان الغرض من سرد صفات المنافقين وتَّعْدادها إلا من أجل تعريف المؤمنين بصفاتهم، وأفعالهم وأخلاقهم وسُلُوكياتهم، حتى يحْذرهم المؤمنون الصادقون، ويتجنبوا أضْرارهم وشُرورهم وخطرهم على المجتمع الإسلامي في كل عصر وزمان، فلا ينخدعوا ببريق كلامهم، وعِظم هياكلِهم، وتوكيدِ أيمانهم، كما في قوله تعالى: ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾ المنافقون: ٤.

ومن هنا يتبين بوضوح أن **الغرض العام لسُورة المنافقون هو تحذير المؤمنين من خطر المنافقين على المجتمعات الإسلامية**، فهم عامل من عوامل ضعْف وهدْم المجتمعات وتشتُّتِها وتشرذُمِها.

وقد ذكر البقاعي الغرضَ العام من سورة المنافقون فقال: " مقصودُها: كمال التحذير مما يَثْلِمُ[1] الإيمان من الأعمال الباطنة،

---

[1] يَثْلِمُ الإيمان: أي الخلل والتشقق الحادث في الإيمان. انظر مقاييس اللغة، ٣٤٧/١، مادة: "ثلب".

والترهيب مما يَقْدح في الإسلام من الأحوال الظاهرة، بمخالفة الفعل للقول فإنه نفاقٌ في الجُمْلة، فيُوشَك يُجَر إلى كمال النفاق فيخرج من الدين ويدخل الهاوية، ليكون هذا التحذير سببًا في صدق الأقوال ثم صدق الأعمال ثم صدق الأخلاق ثم صدق الأحوال"[٢].

قال ابن عاشور عن مقْصِد سورة المنافقون: " أغراضُها: فضح أحوال المنافقين بعد كثير من دَخائِلهم، وتولد بعضها عن بعض من كذب، ونقض عهد الله، واضطرابٍ في العقيدة، ومن سفالة نفوسٍ في أجسامٍ تغُرّ وتعجب، ومن تصميم على الإعراض عن طلب الحق والهدى، وعلى صدِّ الناس عنه"[٣].

وقد اتضح هذا الغرض من خلال استقراء آيات السُّورة، كما يلي:

١ــ في مطلع السورة تأكيد صريح من الله عز وجل على كذب المنافقين في أيمانهم وأقوالهم وأفعالهم،﴿ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ المنافقون: ١. وذلك لمخالفتها لقلوبهم وضمائرهم، مصداقًا لقوله عز وجل: ﴿ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ ﴾ الفتح: ١١، وتأكيد الله عز وجل بذاتِه على كذب المنافقين من أجل تحذير المؤمنين من كيْدهم ومكْرهم وخِداعهم.

قال الرازي: " ﴿ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ ﴾ إنهم أضمروا غير ما أظهروا، وإنه يدل على أن حقيقة الإيمان بالقلب، وحقيقةُ كل كلام كذلك، فإن من أخبر

---

[٢] نظم الدرر، (٧/ ٦٠٥).

[٣] التحرير والتنوير، (٢٨/ ٢٠٩).

عن شيء واعتقد بخلافه فهو كاذب...وسمَّاهم الله كاذبين لِمَا أنَّ قولهم: يُخالف اعتقادهم"[1].

٢ــ وجاء في مطلع السورة أيضا ما يدل على التحذير من كل ما يفعله المنافقون، ووصفه بالسُّوء والقُبْح، بأسلوبٍ يُفيد الإجمال والإيجاز والعموم، كما في تذييل الآية الثانية ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ المنافقون:٢.

قال ابن عاشور: " وجملة ﴿إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ تذييل لتفظيع حالهم عند السامع، وساء من أفعال الذم تلحق ببئس"[2]. فاختيار هذا الفعل يتناسب مع سياق الآيات المفيد للذم والقدح.

٣ــ التعبير بلفظ "التحذير" صراحةً في السُّورة الكريمة في قوله عز وجل: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ المنافقون: ٤. وهذا اللفظ يتناسب مع اسم سورة"التغابن"، فما حذَّرنا الله من اتِّباع المنافقين ومن أقوالهم وأفعالِهم إلا لخُسْرانهم في الدُّنيا والآخرة.

ولذلك حكَم الله عليهم بأنهم العدو اللدُود للمؤمنين، ودعا عليهم بالطَّرد من رحمته ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ ومن كان عدوًا ومطرودًا من رحمته عز وجل وجب على المؤمنين الحذَر من مكره وخداعه وكذبه والميل إلى أيمانه، ومظهره الحسن، فكان مجيء لفظ ﴿فَٱحْذَرْهُمْ﴾ مناسبًا لما قبله﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ﴾، ومترتبًا عليه، وكذلك مناسبًا لما بعده ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾.

---

[1] تفسير الرازي، (ص: ٤٤٧٠).

[2] التحرير والتنوير، (٢٨/ ٢١٢).

قال أبو حيان: " ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ ﴾ إخبارًا منه تعالى بأنهم ــ أي المنافقين ــ وإن أظهروا الإسلام، هم المبالغون في عداوتك ــ أيها النبي الكريم ــ؛ ولذلك جاء بعده أمرُه تعالى إياه بحذرهم فقال : ﴿ فَٱحْذَرْهُمْ ﴾، فالأمر بالحَذَر متسبِبٌ عن إخباره بأنهم هم العدو"[1].

قال أبو السعود: " فإن الفاء في قوله تعالى: ﴿ فَٱحْذَرْهُمْ ﴾ لترتيب الأمر بالحذر على كونهم أعدى الأعداء"[2].

******

المناسبة بين غرضي السورتين

لكي نُبْرز مدى إعجاز القرآن الكريم من حيث تناسب وترابط السُّور القرآنية، لا بُدَّ أن نُبيِّن التناسب بين غرضي السُّورتين الكريمتين، والحكمة من مجيء غرض بعد آخر.

إن السُّورتين الكريمتين يُحذِّران المؤمنين من كل ما يُبْعدهم عن الفوز بالنَّعيم المُقِيم يوم القيامة، ويُؤدِّي بهم إلى الخُسْران والعذاب.

فسورة المنافقين تُحذِّر المؤمنين من الاغترار والانخداع بظاهر المنافقين وأفعالهم وسلوكياتهم وأيمانهم الكاذبة، وما كان هذا التحذير إلا من أجل النصح والإرشاد والفوز وعدم الخسران، ومن هنا يظهر الترابط بين مقْصدي السُّورتين.

---

[1] تفسير البحر المحيط، (٨/ ٢٠٤)بتصرف. وانظر التحرير والتنوير، (٢٨/ ٢٤١).

[2] تفسير أبي السعود، (٨/ ٢٥٢).

وفي سورة التغابن تحذير للمؤمنين أيضا من كل ما يصُدهم عن سبيل الله والفوز بالجنان، فقد حذَّرهم الله تعالى من الكافرين الذين يدعونهم إلى الكُفر والشِّرك بالله، ويصُدونهم عن سبيله، وقد تأخذهم عاطفة القرابة والرَّحِم، فيميلون ويركنون إليهم، فحذَّرهم الله تعالى من اتِّباعهم، وأمرهم بالتمسُّك بإيمانهم وعقيدتهم، وفي هذا الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، وقد ذُكر هذا في قوله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ ﴾ التغابن: ١٤.

قال ابن عاشور: " ومن أغراض سورة التغابن: تحذير المؤمنين من بعض قرابتهم الذين تغْلغَل الإشراكُ في نفوسهم تحذيرًا من أن يُثْبطوهم عن الإيمان والهجرة"[1].

فقد اتَّحدت السورتان في التحذير من كل ما يصد المؤمنين عن سبيل الله، فكما أن سورة المنافقين تُحذر المؤمنين من أفعال المنافقين وتصرفاتهم في المجتمع، كذلك سورة التغابن تحذر المؤمنين من الكافرين، حتى لا يركنوا إليهم، فتمسَّهم النار، وفي الأخذ بهذا التحذير الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، وفي تركه والتهاون به الخسران والهلاك، وفي هذا نجد مدى الترابط والتلاحم بين السُّورتين.

فقد تكرر لفظ التحذير في السورتين، ففي سورة المنافقون قال: ﴿ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٤ ﴾ المنافقون: ٤، وفي سورة التغابن

[1] التحرير والتنوير، (٢٨/ ٢٣٢).

قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴿١٤﴾ ﴾ التغابن: ١٤، مما يدل على مدى الترابط والتناسب بين السُّورتين.

ومن الإعجاز القرآني أنه لما ذكر لفظ الفوز في سورة التغابن ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ التغابن: ٩، ذكر النقيض في سورة المنافقون وهو لفظ الخسران في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ المنافقون: ٩، مما يُشْعرك بمدى الانسجام بين السُّورتين الكريمتين.

وكما أن سورة التغابن تُبيِّن خُسْران الكافرين، الذين أظهروا كُفْرهم، وعداوتهم للمؤمنين فإن سورة المنافقون تُحذِّر من المنافقين الذين هم أشد عداوة من الكافرين، لإظهار الإيمان وإبْطان الكفر، فجَمَع الله عز وجل بين من أظهر الكفر ومن أبطنه وأخفاه، فكان التناسب واضحًا بين غرضي السُّورتين الكريمتين.

قال الرازي في بيان مناسبة سورة التغابن لما قبلها: "وجه التعلق بما قبلها ظاهر، لِمَا أن تلك السورة للمنافقين الكاذبين، وهذه السورة للمنافقين الصادقين"[1].

******

[1] تفسير الرازي، (ص: ٤٤٧٤).

المبحث الثالث

الأغراضُ الجُزْئية لِسُورة التغابن ومناسبتُها لسورة المنافقون

من يقرأ السُّورة القرآنية قراءة عابرة دون تأمُّل وتدبُّر، يُخيل إليه تفكُّك أجزائها ومقاطعها، وتباعد أطرافها، وتنوع مواضيعها، دون ترابط وتناسب بينها. ونفس هذا الكلام يُقال في التناسب بين السورتين، وما يتضمنان من مواضيع، وأفكار، ومقاطع.

أمَّا من قرأ السورة بتمعُّن وتدَبُّر، وعقد مقارنة بين أجزائها، ومقاطعها، وأفكارها، ومواضيعها، وجد علاقة متينة، وتناسبًا قويًا، وبناءً محكمًا، وشعر وكأنَّ السورةَ الواحدة ما هي إلا سلسلةٌ من الأجزاء والأغراض المترابطة والمتماسكة فيما بينها، لا يمكن انفكاك جزء منها عن الآخر، أو الاستغناء عنه، فترى كل غرض يُسلِّمُك إلى الغرض الآخر، في تناسق وتناغم بديع، وعند ربط بعضها ببعض يمكنك أن تستنبط منها أغراضًا أخرى، وذلك بالتأمل والتفكر، وهذا من أسرار القرآن الكريم، وإعجازه.

ويبين الدكتور محمد عبد الله دراز الترابط القوي بين أجزاء السورة الواحدة فيقول: " إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجَّمة، يحسبها الجاهل أضغاثًا من المعاني حُشِيت حشْوًا، وأوزاعًا من المباني جمعت عفوًا؛ فإذا هي –لو تدبَّرْت– بنيةٍ متماسكةٍ قد بُنيت من المقاصد الكُلِّية على أُسس وأُصول، وأُقيم على كل أصل منها شعب وفصول، وامتدَّ من كل شعبة منها فروعٌ تقصر أو تطول؛

فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وضع رسمه مرة واحدة، لا تحُسُّ بشيءٍ من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريقٍ إلى طريق، بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، كما ترى بين آحاد الجِنْس الواحد نهاية التضامّ والالتحاق، كل ذلك بغير تكلفة ولا استعانة بأمر من خارج المعاني أنفسها، وإنما هو حسن السياقة ولطف التمهيد في مطلع كل غرض ومقطعه وأثنائه، يُرِيك المنْفصل متصلًا، والمختلف مؤتلفًا"[1].

وإذا كان الغرض الكلي لسورة التغابن هو الفوز والخسران، فإنه ينبغي أن نتعرف على الأغراض الجزئية للسورة ومناسبتها للغرض الكلي، وكذلك مناسبتها لسورة المنافقون، حتى يتبين لنا البناء المُحْكم لأجزاء السورة الواحدة، وعلاقة بعضها ببعض، والتناسب القوي بينها وبين ما قبلها من سور القرآن الكريم.

وتبرز أهم الأغراض الجزئية في سورة التغابن من خلال ما يلي:

أولا: بيان مظاهر قدرة الله عز وجل:

من الأغراض الجزئية التي تعرضت لها سورة التغابن، أنها بدأت بالحديث عن مظاهر القدرة الإلهية في الكون، من حرص المخلوقات السماوية والأرضية على تنزيه الله سبحانه وتعالى من كل نقصٍ وعيبٍ، لاستحقاقه الحمد والثناء الجميل، فهو خالق السموات والأرض ومن فيهما، وخالق الإنسان فأحسن تصويره، ومالك الملك والملكوت، وقادر على

---

[1] النبأ العظيم، (ص: ١٨٨).

التصرف فيهما كيف يشاء، لا رادَّ لقضائه، ولا مانعَ لِمَا أعطى، ولا معطي لما منع.

قال الخازن: "﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ ﴾ يعني: أنه تعالى متصرفٌ في ملكه كيف يشاء تصرف اختصاص، لا شريك له فيه، وله الحمد، لأن أصول النِّعم كلها منه، وهو الذي يُحْمد على كل حال، فلا محمود في جميع الأحوال إلا هو، ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ يعني أنه سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء كما يشاء بلا مانع ولا مدافع"[1]أ.ه.

وبالنظر إلى أُسْلوب الآية وتركيبها، نجد تقديم الجار والمجرور في ﴿ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ ﴾ ليتناسب مع هذا الغرض، قال البيضاوي: " ﴿ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ ﴾ قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الأمرين به من حيث الحقيقة"[2]أ.ه.

مناسبة هذا الغرض الجُزْئي للغرض الكلي للسُّورة:

إذا كان الله عز وجل خالق الكون، ومالك المُلْك، ومدبِّره، ومتصرف فيه كيفما يشاء، وقادر على كل شيء، فمن كمال قدرته عزَّ وجل محاسبة خلقه يوم الجزاء، وجعل الفوز لمَن آمن به، وشكَر نِعَمَه، وحَمَده، وأثْنى عليه، وحرِص على تسْبيحه، وتنزيهه عن كل نقْص، وجعل الخسران لمن كفر به، وجحد نعمه، ووصفه بما لا يليق بكماله وجلاله من اتخاذ الولد والشريك.

---

[1] تفسير الخازن، (٧/ ١٠٣).

[2] تفسير البيضاوى، (٥/ ٣٤٤).

وما قيل هنا يقال في مناسبة هذا الغرض الجزئي لاسم السورة.

وفي تفسير روح البيان: " فمن عرف أنه تعالى قادر خشِي من سطوات عقوبته عند مخالفته، وأَمل لطائف نعمته ورحمته عند سؤال حاجته، لا بوسيلة طاعته، بل بكرمِه ومِنَنِه"[٣].

مناسبة هذا الغرض الجزئي لسورة المنافقون:

هذا الغرض الجزئي له علاقةٌ وطيدة، ومناسبةٌ قوية، بسورة المنافقون، حيث إنها تعرَّضت لصفات المنافقين، والتي من بينها: زعْمُهم أنهم قادرون على المنع والعطاء، والإذْلال والإعْزاز، وقد سجَّلت السورة ذلك في قوله عز وجل: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٨ ﴾ المنافقون: ٧ – ٨.

فردَّ الله عز وجل عليهم في بداية سورة التغابن، وبيَّن لهم أنه مالك الملك، يتصرف في ملكه كيف يشاء، وخالق الكون، والقادر على كل شيء، وهو المُذِل المُعِز، المُعْطي المانع، ولا أحد سواه يتصف بهذه الصفات.

وجاء في كتاب فتح البيان في مقاصد القرآن: "﴿ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ ﴾ أي يختصان به ليس لغيره منهما شيء، وما كان لعباده منهما فهو من فيْضِه، وراجع إليه، وتقديم الظرف يفيد الاختصاص به تعالى من

---

[٣] تفسير روح البيان، (١٠/ ٢).

حيثُ الحقيقة، لأنه مُبْدِىء كل شيء ومُبْدعه، فكان الملك له حقيقة دون غيره، ولأنَّ أُصُول النِّعم وفروعها منه تعالى، فالحمدُ له بالحقيقة، وحمدُ غيره إنما يقع من حيث ظاهر الحال، وجريان النعم على يديه، والملك هو الاستيلاء، والتمكن من التصرف في كل شيء على حسب ما أراد في الأزل"[1].

قال ابن كثير: "وقوله: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ أي: مهما أراد كان بلا ممانع ولا مدافع، وما لم يشأ لم يكن"[2]أ.ه.

ثانيا: علمُ الله تعالى الواسع بأعمال الكافرين ومجازاتهم عليها:

عند التأمل في سورة التغابن نجد أنها يغلب عليها الحديثُ عن الكافرين، وأعمالهم السيئة، وكفرهم بالله عز وجل، وتكذيبهم برسلهم، وإنكارهم البعث واليوم الآخر، وما وقع للكافرين من الأمم السابقة، فحذَّرهم الله عز وجل من سوء عاقبتهم في الدنيا والآخرة، لعلمه الشامل والواسع بأعمالهم السيئة، صغيرها وكبيرها، حقيرها وجليلها، ظاهرها وباطنها، وإخبارهم بها يوم الجزاء، لكونه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فهو يعلم السر وأخفى.

ويتجلى ذلك من خلال قول الله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ التغابن: ٢. ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٤﴾ التغابن: ٤، ﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ التغابن:٧.

---

[1] فتح البيان في مقاصد القرآن، (١٤/ ١٦٣).

[2] تفسير ابن كثير، (٨/ ١٣٥).

﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٨﴾ ﴾ التغابن: ٨، ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾ ﴾ التغابن: ١١، ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ التغابن: ١٨. ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٥﴾ ﴾ التغابن:٥.

قال أبو الطيب محمد صديق خان: " ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ جملة مقررة لما قبلها من شمول علمه لكل معلوم، وهي تذييلية"[1]أ.ه.

مناسبة هذا الغرض الجُزْئي للغرض الكلي لسورة التغابن:

هذا الغرض الجُزْئي له ارتباط قوي بالغرض الكلي لسورة التغابن، ويظهر هذا من خلال أن الله عز وجل أراد إرسال رسالة تحْذيرية إلى أصناف البشر من المؤمنين والكافرين، مفادُها: أن الله عز وجل بعلمه الواسع، محيطٌ بهم، ومطَّلعٌ على أعمالهم، من إيمان أو كفر، وطاعة أو عصيان، وإخلاص أو نفاق، وسيجازيهم عليها يوم القيامة، فمنهم من يفوز بنعيم مقيم، ومنهم من يكون في خسران دائم.

قال أبو السعود: " ﴿ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ ﴾ أي ما تُسِرُّونه فيما بينكم وما تُظْهرونه من الأمور، والتصريح به مع اندراجه فيما قبله لأنه الذى يدور عليه الجزاء، ففيه تأكيد للوعد والوعيد وتشديد لهما"[1]أ.ه.

---

[1] فتح البيان في مقاصد القرآن، (١٤/ ١٦٦).

[1] تفسير أبي السعود، (٨/ ٢٥٦).

مناسبة هذا الغرض الجُزْئي لاسم السورة:

علمُ الله تعالى بأحوال الكافرين، وإحاطتُه بأعمالهم، يترتب عليها جزاؤهم وحسابهم ومعاقبتهم بالعذاب الأليم، والخسران المبين، الذي هو دلالة التغابن، ولذلك كانت المناسبة واضحة بينه وبين اسم السورة.

قال ابن عطية رابطًا بين العلم بأعمال الكافرين والخسران: " ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ وهو تعالى خبير في كل يوم، ولكن يخص ذلك اليوم، لأنه يوم تضرُّهم فيه خبرةُ الله تعالى بأمورهم"[٢].

مناسبة هذا الغرض الجُزْئي للغرض السابق:

لا يعلم بأعمال العباد، صغيرها وكبيرها، جليلها وحقيرها، ولا يجازيهم عليها بالثواب أو بالعقاب، إلا من كان مالِكا للملك، مدبِّرا للأمر، متصرفًا في مُلْكه كيف يشاء، قادرًا على كل شيء، لا يُعْجزه شيء في السموات ولا في الأرض، فظهرت المناسبةُ القويةُ بينهما.

قال البيضاوي: "وتقديم تقْرير القدرة على العلم لأن دلالة المخلوقات على قدرته أولا وبالذات وعلى علمه، بما فيها من الإتقان والاختصاص ببعض الأنْحاء"[١].

مناسبة هذا الغرض الجزئي لسورة المنافقون:

هذا المقصد الجزئي له علاقة قوية بسورة المنافقون، فقد بيَّن الله عز وجل هنا ــ في سورة التغابن ــ إحاطته الشاملة، وعلمه الواسع، بأعمال

---

[٢] المحرر الوجيز، (٥/ ٢٩٣).

[١] تفسير البيضاوى، (٥/ ٣٤٥).

الكافرين، بعد أن ذكر هناك ــ في سورة المنافقون ــ علمه الدقيق بأعمالهم، ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١ ﴾ المنافقون: ١. ﴿ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢ ﴾ المنافقون: ٢. ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١ ﴾ المنافقون: ١١.

وإذا كانت سُورةُ المنافقون تحدَّثت عن الكفر الباطني وسورة التغابن تحدثت عن الكفر الظاهري الصريح، فقد جاء الإخبار الواضح بعلم الله الواسع بما أظهر الإنسان من كفر أو إيمان وما أبطنه، وما أخفاه وما أعلنه، فجمع بينهما فقال: ﴿ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٤ ﴾ التغابن: ٤، فهو الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فترى مدى ترابط هذا الغرض الجزئي بسورة المنافقون.

قال الرازي في بيان وجه التناسب بين السورتين من خلال هذا الغرض الجزئي: " تلك السورة مشتملة على بطالة أهل النفاق سراً وعلانية، وهذه السورة على ما هو التهديد البالغ لهم، وهو قوله تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾"[٢] أ.هـ.

ثالثا: موقف المشركين والمؤمنين من رسلهم:

قسَّمت سورة التغابن الخَلْق إلى صِنْفين بناءً على اختيارهم واستعداد نفوسهم، وهما: الكافرون والمؤمنون، كما في قوله عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٢ ﴾

[٢] تفسير الرازي، (ص: ٤٤٧٤).

التغابن: ٢. ثم بينت السورة موقف الفريقين من رسلهم، وجزائهم عند ربهم يوم الجزاء.

فأمَّا الكافرون فكذَّبوا رسلهم، وعاندوهم، وتكبروا عليهم، وكفروا بربهم، خالقهم ورازقهم، وأنكروا البعث واليوم الآخر، فحذَّرهم الله عز وجل من سوء عاقبتهم يوم الحساب، وذكَّرهم بما وقع لأمثالهم من مكذِّبي الأمم السابقة، من الإهلاك والاستئصال في الدنيا، والعذاب الشديد يوم القيامة، حتى يعتبروا ويثوبوا إلى رشدهم، ويؤمنوا بربهم، ويُصدِّقوا برسلهم، ثمَّ ذكرت السورةُ جزاءهم يوم القيامة من العقاب الشديد، والعذاب الأليم.

وقد ظهر ذلك جليا في أرجاء سورة التغابن من خلال قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾ التغابن: ٥ ــ٦. وقوله: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ﴾ التغابن: ٧. وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ ﴾ التغابن: ١٠.

أمَّا المؤمنون فصدّقوا برسلهم، وآمنوا بربهم، وأطاعوه، فأثابهم الله عز وجل بتكفير ذنوبهم، وهداية قلوبهم، ودخول جنة ربهم، وهذا هو الفوز الحقيقي المقابل لخسران الكافرين، وقد ظهر ذلك جليا في أرجاء سورة التغابن من خلال قوله عز وجل: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ

ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ التغابن: ٩. وقوله: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ التغابن: ١١.

قال الدكتور محمد سيد طنطاوي عند تفسيره لقول الله عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ ﴾: " أي هو ــ سبحانه ــ الذى خلقكم بقدرته، دون أن يشاركه فى ذلك مشارك، وزوَّدكم بالعقول التي تُعينكم على معرفة الخير من الشر، والنافع من الضار، وأرسل إليكم رسوله محمدًا – صلى الله عليه وسلم – لكى يُخْرجكم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان...ومع ذلك وجد منكم المختار للكفر عن الحق، المعرض عن الإيمان بوحدانية الله – تعالى – وكان منكم المُستجيب للحق باختياره المُخْلص فى عقيدته لله – تعالى – المؤمن بوحدانيته، المؤدِّى لجميع التكاليف التى كلَّفه – سبحانه – بها"[1].

مناسبة هذا الغرض الجزئي للغرض الكلي لسورة التغابن:

هذا الغرض الجزئي له علاقة وطيدة، ومناسبة قوية بالغرض الكلي للسورة، فمَن كفر بالله، وكذَّب برسله، وأعرض عن دعوتهم، وناصب لهم العداء والإيذاء، ثمَّ نال العذاب الأليم في الدنيا والآخرة، كان هذا هو الخسران المبين، والمآل السيئ، أمَّا من آمن بالله وأطاعه حق طاعته، وصدَّق برسوله، وما جاء به من الوحي الرَّباني، وقبل دعوته، ونال الثواب والجزاء الحسن، والنعيم المقيم في الآخرة، كان هذا هو الفوز الحقيقي، والمصير الحسن.

[1] التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ص: ٤٢٢٢.

قال ابن كثير: " قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ التغابن: ٢، أي: هو الخالق لكم على هذه الصِّفة، وأراد منكم ذلك، فلا بد من وجود مؤمن وكافر، وهو البصير بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضَّلال، وهو شهيد على أعمال عباده، وسيجزيهم بها أتم الجزاء؛ ولهذا قال: ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾"[1].

مناسبة هذا الغرض الجزئي لاسم السورة:

موقف المشركين من رسلهم في الدنيا، ومقابلتهم لدعوتهم بالجُحُود والنُّكْران، والتكذيب والعناد، يقابله الخسران والتغابن في الآخرة، أما موقف المؤمنين من رسلهم في الدنيا، من حيث مقابلتهم لدعوتهم بالإيمان والتصديق، يقابله الفوز والنعيم في الآخرة، ولذلك كانت المناسبة قوية بين هذا الغرض الجزئي واسم السورة.

قال الطبري: "﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ يقول: والله الذي خلَقكم بصيرٌ بأعمالكم عالمٌ بها، لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيكم بها، فاتقوه أن تخالفوه في أمره أو نهيه، فيسطوَ بكم"[2].

مناسبة هذا الغرض الجزئي للغرض السابق:

الله عزَّ وجلَّ مطَّلعٌ على أفعال العباد، صغيرها وكبيرها، ومن بينها موقفهم تجاه دعوة الرسل إلى الإيمان والتوحيد، فمنهم من صدَّق الرسل، وآمن بالله عز وجل، ومنهم من كذَّبهم، وكفر بالله، وسيجازيهم الله

---

[1] تفسير ابن كثير، (٨/ ١٣٥).

[2] تفسير الرازي، (ص: ٤٤٧٤).

على أعمالهم يوم الجزاء، ولذلك ترى المناسبة قوية بين الغرضين السابقين.

مناسبة هذا الغرض الجزئي لسورة المنافقين:

إذا كانت سورة التغابن في أكثر آياتها ركَّزت على الكافرين وتهديدهم بحسابهم وعقابهم يوم القيامة، فإن سورة المنافقين ركزت في أكثر آياتهاعلى فضح سلوك المنافقين في الدنيا، وكشف أفعالهم القبيحة، وتكذيبهم وخداعهم وتكبُّرهم ومعاداتهم لدعوة رسلهم، وحلفهم بالأيمان الكاذبة، وصدهم عن سبيل الله عز وجل، وتحريض الناس على عدم الإنفاق على من عند رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم.

ويتجلى ذلك في قوله عز وجل: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ٢ ﴾ المنافقون: ٢. وقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ٥ ﴾ المنافقون: ٥، وقوله: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ ٧ ﴾ المنافقون:٧. وقوله: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ ٨ ﴾ المنافقون: ٨.

قال أبو حيان: " ذكر هنا المنافقين وما هم عليه من كراهة أهل الإيمان، وأتبعه بقبائح أفعالهم وقولهم: ﴿ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ﴾"[1].

---

[1] تفسير البحر المحيط ، (٨/ ٢٠٣) بتصرف.

ومن المعلوم أن النفاق كفرٌ باطني، لذلك كانت المناسبة قوية بين هذا الغرض وبين سورة المنافقين، إذ إن سورة المنافقين تتحدث عن أفعال وسلوك وجرائم المنافقين والكافرين في الدنيا، بينما سورة التغابن تتحدث عن الكافرين وعقابهم الأخروي.

قال أبو حيان: " ومناسبة هذه السورة ــ أي سورة التغابن ــ لما قبلها: أن ما قبلها مشتمل على حال المنافقين، وفي آخرها خطاب المؤمنين، فأتبعه بما يناسبه من قوله: {هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ}، هذا تقسيم في الإيمان والكفر"[٢].

رابعا: التضحية بالنَّفس والمال والتحذير من الصَّد عن سبيل الله عز وجل:

من الأغراض الجزئية التي تعرَّضت لها سورة التغابن: التضحية بالنفس والمال في سبيل الله عز وجل، ونشر دينه في ربوع الأرض، والتَّحْذير من كل ما يصُد عن سبيله عز وجل من فتنة المال والأولاد والأزواج، لئلا يكونوا معوقين عن التضحية في سبيل الله عز وجل، والإنفاق في سبيله، وضمان مساندة الدعوة الإسلامية في مهدها، والعمل على نجاحها واستمرارها، كما في قوله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ التغابن: ١٤. وقوله: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ التغابن: ١٥. وقوله: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن

[٢] المرجع السابق، (٨/ ٢٠٧)بتصرف.

يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ التغابن: ١٦ – ١٧.

مناسبة هذا الغرض الجزئي للغرض الكلي للسورة:

هذا الغرض الجزئي له علاقة وطيدة ومناسبة قوية بالغرض الكلي لسورة التغابن، فمن جاهد شهوات نفْسِه الأمارةِ بالسوء، وضحَّى بنفسه وماله في سبيل الدعوة الإسلامية، ولم يفْتنه عن ذلك حبُّ المال أو الزوجة أو الأولاد، فاز في الدنيا والآخرة، أمَّا من اتَّبع خُطُوات الشيطان، وركن إلى الدنيا، وافتُتِن بحب المال والأولاد والزوجة، فلم يُضَحِّ بنفسه ولا بماله، فمآله الخسران والهلاك في الدنيا والآخرة.

قال القاضي أبو بكر بن العربي: "هَذَا يُبَيِّنُ وَجْهَ الْعَدَاوَةِ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ لَمْ يَكُنْ عَدُوًّا لِذَاتِهِ ، وَإِنَّمَا كَانَ عَدُوًّا لِفِعْلِهِ، فَإِذَا فَعَلَ الزَّوْجُ وَالْوَلَدُ فِعْلَ الْعَدُوِّ كَانَ عَدُوًّا، وَلَا فِعْلَ أَقْبَحَ مِنْ الْحَيْلُولَةِ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الطَّاعَةِ"[1] .

وما ذُكِر في هذه المناسبة والرابطة يُذْكر في مناسبة هذا الغرض لاسم السورة.

مناسبة هذا الغرض الجزئي للغرض السابق:

هذا الغرض الجزئي له علاقة وطيدة بالغرض السابق، فالمؤمن هو الذي تغلَّب على شهوات نفسه، ولم يُفْتن بمُغْريات الدنيا من مالٍ أو زوجةٍ أو ولدٍ، فضحَّى بنفسه وماله في سبيل الله عز وجل، ولِنَشْر دينه في ربُوع الأرض، ابتغاءَ الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، أمَّا الكافر فقد

[1] أحكام القرآن لابن العربي، (٧/ ٣٨٣).

غرّته الدنيا، واتَّبع خُطُوات الشيطان، وافتُتن بالمال والولد والزَّوجة، فصدَّ عن سبيل الله عز وجل بكل السُّبُل والطُّرق، وكذَّب بالرسول صلى الله عليه وسلم، ووقف ضدَّ دعوته، فامتنع عن النفقة، وحرَّض غيره على الامتناع عنها، للقضاء على الدين والدعوة في مهدها.

يقول البيضاوي: "﴿ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾ لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الأموال والأولاد والسعي لهم"[1].

مناسبة هذا الغرض الجزئي لسورة المنافقين:

سجَّلت سورةُ (المنافقون) مكْر المنافقين وخداعهم وحقدهم ودعوتهم الخبيثة لأتباعهم وأذنابهم بعدم الإنفاق على المؤمنين بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والمساندين لدعوته، والواقفين بجانبه، والملتفين حوله، لضَعْف شوكة المسلمين، وانفضاض الناس من حوله صلى الله عليه وسلم، وإفشال دعوته، والقضاء عليها في مهدها، ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ٧ ﴾ المنافقون: ٧.

فجاء الرد من قِبَل الله عز وجل على تلك الدعوة الخبيثة للمنافقين، ودحضها، بالتَّحذير من سماع كلام المنافقين، والحثِّ على الإنفاق في سبيل الله عز وجل، وترغيب الناس في البذل والعطاء، في كلتا السورتين.

ففي سورة المنافقون ركَّز على وقت الاحتضار، حين يندم البخيلُ الشحيحُ، فيتمنى أن يؤخره الله عز وجل، ويمُد أجلَه، حتى يُعوِّض ما فاته من الإنفاق والتصدق والبذل والعطاء والعمل الصالح، ولكن هيهات

[1] تفسير البيضاوى، (٥/ ٣٤٧).

هيهات، ﴿ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ المنافقون: ١٠ - ١١ .

قال ابن عاشور معلقا على الآيات السابقة: "هذا إبطالٌ ونقضٌ لكيد المنافقين حين قالوا: ﴿ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾، وهو يعُم الإنفاق على الملتفين حول رسول الله صلى الله عليه وسلم، والإنفاق على غيرهم فكانت الجملة كالتذييل"(١).

وفي سورة التغابن ركَّز على الجزاء الأخروي للإنفاق في سبيل الله عز وجل، وبيان فضله، من مضاعفة الأجر والثواب ومغفرة الذنوب يوم الجزاء، وأن هذا هو الفوز الحقيقي، كما في قوله عز وجل: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ التغابن: ١٦ – ١٧.

قال الزمخشري: " ﴿ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ﴾ وافعلوا ما هو خير لها وأنفع؛ وهذا تأكيد للحث على امتثال هذه الأوامر، وبيان لأنّ هذه الأمور خير لأنفسكم من الأموال والأولاد وما أنتم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا"(١)أ.ه.

(١) التحرير والتنوير، (٢٨/ ٢٢٦).

(١) تفسير الكشاف، (٤/ ٥٥٢).

وفي فتح البيان في مقاصد القرآن: "﴿ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ فتصرفون أموالكم في وجوه الخير بإخلاص نيَّة، وطِيب نفسٍ، وسمَّاه قرْضًا من حيث التزام الله المجازاة عليه، وفي ذكر القرض أيضًا تلطف في الاستدعاء، وترغيب في الصدقة حيث جعلها قرضا لله، مع أن العبد إنما يقرض نفْسه، لأن النفع عائدٌ عليه "[٢].

وكذلك جاء تكرار " التحذير " في سورتي التغابن والمنافقون، من كل ما يصُد عن سبيل الله عز وجل، من الافتتان بالمال والولد والزوجة، ومصدر الفتنة قد يكون من الآباء، وقد يكون من المال والزوجة والولد.

ففي سورة المنافقون ركَّز على فتنة الآباء، لحبهم وشغفهم بالمال والزوجة والأولاد، شغفًا يؤدي بهم إلى انشغالهم عن الطاعة والعبادة والذِّكر، كما في قوله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ المنافقون: ٩.

قال أبو السعود: "والمراد نهيهم عن التلهي بها، وتوجيه النهي إليها للمبالغة"[٣].

أمَّا في سورة التغابن فقد ركَّز على كون الفتنة نابعة من بعض الزوجات والأولاد، فقد يمنعوا الآباء والأزواج من الإيمان والطاعة والعبادة، ويدعوهم إلى الكفر والشرك والمعصية والبخل، لدرجة يصلوا فيها إلى كونهم أعداءً، يتمنون الشر لأبيهم ولأزواجهم، فحذَّر الله من

---

[٢] فتح البيان في مقاصد القرآن، (١٤/ ١٧٣).

[٣] تفسير أبي السعود، (٨/ ٢٥٤).

شرهم كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ١٥ ﴾ التغابن: ١٤ – ١٥.

قال القاسمي معلقًا على الآيتين السابقتين: " خطاب لمن آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم، وكان له من أزواجهم وأولادهم من يُعاديهم لإيمانهم، ويُؤذيهم بسببه، فكان ذلك يُغيظُهم، وربما يحملهم على البطش بهم، فأُمروا بالحَذَر من فتنتهم، وشركهم فحسب، وأن يَظهروا فيهم بمظهر أولي الفضل"[1] أ.هـ.

واختيار لفظ ﴿ عَدُوًّا ﴾ يتناسب مع هذا الغرض، من حيث إن العدو يحمل في نفسه من الحقد والبُغْض ما يجعله صادًا للآخرين عن دين الله عز وجل، ولو كانوا أقرب الناس إليه.

قال ابن عاشور: " والإخبار عن بعض الأزواج والأولاد بأنهم عدو يجوز أن يحْمل على الحقيقة، فإن بعضهم قد يُضْمِر عداوةً لزوجه، وبعضهم لأبويه من جرَّاء المعاملة، بما لا يروق عنده، مع خباثة في النفس، وسوء تفكير، فيصير عدوًا لمن حقه أن يكون له صديقًا، ويكثر أن تأتي هذه العداوة من اختلاف الدين ومن الانتماء إلى الأعداء"[2] أ.هـ.

---

[1] (تفسير القاسمي) محاسن التأويل، (ص: ١٢/١٤٥).

[2] التحرير والتنوير، (٢٨/ ٢٥٥).

وفي فتح البيان في مقاصد القرآن: "﴿ عَدُوًّا لَّكُمْ ﴾ يعني أنهم يعادونكم ويشْغلونكم عن الخير وعن طاعة الله، أو يُخاصمونكم في أمر الدين والدنيا..﴿ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ أن تطيعوهم في التَّخلف عن الخير كالجهاد والهجرة"[1].

فترى مدى الإعجاز القرآني في التناسب بين السورتين، وترابط الأفكار، وتتابعها، فكأنَّ الفكرة إذا وردت في سورة لا تكْمُل حلقاتُها إلا بالسورة التي تتْبعها، فتكمل الفكرة وتضيف وتعطيك معنى جديدًا، وكأنها سلسلة متَّصلة الحلقات، لا تنقطع ولا تنفك.

******

[1] فتح البيان في مقاصد القرآن، (١٤/ ١٧١).

المبحث الرابع

المناسبة بين مطلع السورة وخاتمتها

عند التأمل في السورة القرآنية، نجد أنها مكوَّنة من: المطْلع والموضوع والخاتمة، ولكلٍ منهم خصائصه، فالمطْلع: هو أول ما يرد ذهن القارئ والمستمع من معانٍ وأفكار، ولذلك دائما ما يأتي موجزًا مجملًا متضمنًا ما اشتملت عليه السورة من أفكار ومحاور رئيسة.

ثم يعقبه موضوع ومحتوى ومضمون السُّورة، وهو أكثر تفصيلًا وتوضيحًا من مطلع السورة، وأثناء هذا التفصيل والانتقال من محور لمحور قد يحدث للقارئ نسيان لأغراض السورة ومقاصدها، خاصة في السور الطويلة، فهنا تأتي الخاتمة لتعمل على جمع أفكار وموضوعات ومحاور السورة في آيات قليلة مجملة موجزة، لتكون آخر ما يَرِد إلى ذهن القارئ والمستمع، وهذا من إعجاز القرآن الكريم.

قال السيوطي: "خواتم السور هي أيضا مثل الفواتح في الحُسْن، لأنها آخر ما يقْرع الأسماع، فلهذا جاءت متضمنةً للمعاني البديعة، مع إيذان السامع بانتهاء الكلام حتى يبقى معه للنفوس تشوق إلى ما يُذْكر بعد"[1] أ.هـ.

فمن وجوه إعجاز القرآن الكريم، بناء السورة القرآنية بناءً محكمًا متماسكًا مترابطًا، لا انفكاك فيه ولا انفصال، وتتجلى صورة الإحكام في بناء السورة، في قوة الترابط والتناسب بين أجزاء السورة الثلاثة، وهي

---

[1] الإتقان في علوم القرآن، (٣/ ٣٦٦).

المطلع والموضوع والخاتمة، وسنبين في السطور القادمة مناسبة أوائل سورتي التغابن والمنافقون بخواتيمها.

قال الدكتور محمد عبد المنعم القيعي: "اعلم أن أول ما يجب على المفسر بيانه إظهار الرابط بين الآيات والسور، ومبدأ السورة وختامها، فأكثر لطائف القرآن كامنة تحت الروابط والترتيب"[1].

******

أولا: مناسبة أول سورة التغابن لخاتمتها

بالنظر إلى أول سورة التغابن نجد مدى العلاقة القوية بينه وبين خاتمتها، ويظهر ذلك من خلال ما يلي:

أولا: افتُتِحت سورة التغابن ببيان خضوع كل ما في الكون من جمادات غير عاقلة لله عز وجل، وتنزيهه عن كل نقص لا يليق بجلاله، واتصافه بكل كمال، والثناء عليه بأسماءه وصفاته العليا، فهو مالك الملك، المستحق للحمد والثناء دون غيره من المعبودات الباطلة، كما في قوله عز وجل: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١ ﴾ التغابن: ١.

وإذا كان الكون بما فيه من جمادات ونباتات وحيوانات غير عاقلة، يلهج بالثناء والتنزيه والتسبيح لله عز وجل، فمن باب أولى حرص الإنسان الذي حباه الله بالعقل والاختيار على طاعته وتسبيحه، دون أن يجعل له شريكا ونِدًا، ولذلك جاء في ختام السورة حثٌ الإنسان العاقل على طاعة

---

[1] الأصلان في علوم القرآن، (ص: ٦١).

الله والرسول، للفوز بالجنان، والبُعد عن النِّيران، كما في قوله عز وجل:﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٢﴾ ﴾ التغابن: ١٢. وقوله: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ ﴾ التغابن: ١٦، فتجد مدى إتمام المعنى وترابطه.

قال ابن عاشور: "وَهَذَا يُفِيدُ ابْتِدَاءَ تَقْرِيرِ تَنْزِيهِ اللَّهِ تَعَالَى وَقُوَّةِ سُلْطَانِهِ، لِيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا، وَيَكُونُ لَهُمْ تَعْلِيمًا وَامْتِنَانًا، وَيُفِيدُ ثَانِيًا بِطَرِيقِ الْكِنَايَةِ تَعْرِيضًا بِالْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَمْ يُنَزِّهُوهُ وَلَا وَقَّرُوهُ، فَنَسَبُوا إِلَيْهِ شُرَكَاءَ"[1].

ثانيا: في مطلع السورة ذكر انقسام الناس في الدنيا إلى مؤمنين وكافرين، كما في قوله عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ ﴾ التغابن: ٢ ، وفي ختام السورة ذكر صفاتهم وأفعالهم، حيث إن المؤمن لا يفتن بماله ولا بأولاده ولا بأزواجه، ولا يستجيب لنفسه الأمَّارة بالشُّح والبُخْل، ولكنَّه مؤمن حق الإيمان، مطيع معطاء، ينفق ولا يخشى الفقر. كما في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ ﴾ التغابن: ١٤. وقوله: ﴿ إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ التغابن: ١٧.

بينما الكافر يُفْتن بكل ما سبق من مُغْريات الدنيا، فيكفر بالله عز وجل، ويصد عن سبيله، ويمتنع عن النفقه، لحرصه على الدنيا والبقاء فيها. كما في قوله: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ ﴾ التغابن: ١٥.

---

[1] التحرير والتنوير، (٢٨/ ٢٦٠).

وفي ختام السورة أيضا ذكر جزاء الفريقين، فالمؤمن له الفوز والنجاة، والثواب الجزيل، والأجر العظيم، ومغفرة الذنوب، وهداية وطمأنينة القلب، وسُمُو النفس، كما في قوله: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ التغابن: ١١، ﴿ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ التغابن: ١٤، ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ التغابن: ١٦ ، ﴿ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ التغابن: ١٧ ، أمَّا الكافر فقد أعدَّ الله له الخسران المبين، والعذاب الأليم يوم الجزاء، كما في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ ﴾ التغابن: ١٠.

قال البقاعي: "وقد رجع افتتاحها بالتَّنزه عن شوائب النَّقص، والاختصاص بجميع صفات الكمال، وشمول القدرة للحق، وإحاطة العلم بأحوال الكافر والمؤمن، على حسن ختامها، وعلم علمًا ظاهرًا جلالة انتظامها، وبداعة اتِّساق جميع آيها وبراعة التئامها"[1] أ.هـ.

ثالثا: في مطلع سورة التغابن بيَّن الله عز وجل سعة علمه، لكل ما في الكون، وإحاطته وإدراكه لأعمال العباد، صغيرها وكبيرها، حقيرها وجليلها، ظاهرها وباطنها، سرها وعلَنِها، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ ﴾ التغابن: ٤.

---

[1] نظم الدرر، (٨/ ٣٢).

قال أبو حيان: "ونبَّه تعالى بعلمه بما في السموات والأرض، ثم بعلمه بما يُسِر العباد وما يعلنونه، ثم بعلمه بما أكنته الصُّدور على أنه تعالى لا يغيب عن علمه شيء، لا من الكليات ولا من الجزئيات"[٢]أ.ه.

ثم خُتمت السورة الكريمة بالإشارة إلى سعة علم الله عز وجل بكل ما سبق، من خلال التعبير بأسلوب مُوجز، يفيد الشُّمول والعموم، ليكون آخر ما يعلق بذهن القارئ، حيث ذُكر لفظي الغيب والشهادة، فالغيْب: لكل ما خفي عن الإنسان، والشَّهادة: لكل ما ظهر للإنسان، كما في قوله عز وجل: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ التغابن: ١٨، فتجد مدى التنوع في الأسلوب، بين الإطناب والإيجاز، والترابط بين المطلع والخاتمة.

قال ابن كثير: " ﴿ عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ﴾ أَيْ يَعْلَم كُلّ شَيْء مِمَّا يُشَاهِدهُ الْعِبَاد وَمِمَّا يَغِيب عَنْهُمْ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْء"[١].

قال السيوطي في بيان المناسبة بين بداية السورة وخاتمتها: "التغابن: في أولها: ﴿ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾، وآخرها: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ﴾"[٢].

---

[٢] تفسير البحر المحيط، (٨/ ٢٧٤).

[١] تفسير ابن كثير، (١٤/ ٢٥).

[٢] مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، (ص: ٧٢).

رابعا: في مطلع سورة التغابن، أشار إلى يوم القيامة، وما فيه من حسابٍ وثوابٍ وعقاب، حيث ذكر أن مصير العباد ومرجعهم إليه عز وجل، كما في تذييل الآية: ﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ التغابن: ٣.

يقول الدكتور محمد سيد طنطاوي: "﴿وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ أي: وإليه وحده – تعالى – مرجعكم بعد انتهاء آجالكم فى هذه الحياة، لكى يُجازيكم على أعمالكم الدنيوية"[٣].

وفي ختام السورة أشار إلى ما في الآخرة من ثواب ومغفرة ومضاعفة الأجر، لمن آمن بالله ورسوله، وأطاعهما، وأكثر من الإنفاق في سبيله، كما في تذييل الآية:﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾ التغابن: ١٥ . وقوله: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ التغابن: ١٦. وقوله: ﴿إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ١٧﴾ التغابن: ١٧. والشكر يدل على الجزاء والثواب. والحلم يدل على صبره عز وجل على كفر الكافرين وعصيان العاصين، فلم يُعاجلْهم بالعقوبة حتى يؤمنوا بالله وحده.

قال السمرقندي: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ﴾ يعني يقبل اليسير ويعطي الجزيل، ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعجل بالعقوبة لمن يبخل"[١].

خامسا: في مطلع سورة التغابن، دلالة على قدرة الله عز وجل، وعزَّته وحكمته، وعظمته، في خلق السموات والأرض وما فيهما، وفي

---

[٣] التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (ص: ٤٢٢٣).

[١] بحر العلوم، (٣/ ٤٣٦).

خلق الإنسان في أحسن تقويم، كما في تذييل الآية: ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ التغابن: ١. وقال أيضا بعدها: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ ﴾ التغابن: ٣ .

قال الخازن: "﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ يعني أنه سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء كما يشاء بلا مانع ولا مدافع"(٢).

ثم خُتمت السورة الكريمة بما يدل على ذلك بإيجاز، من خلال تذييل الآية الأخيرة بصفتي العزة والحكمة، ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ التغابن: ١٨. فصفة العزة: تدل على القدرة والعظمة والغَلَبة، وصفة الحكمة: تدل على أنه عزَّ وجل ما خلق شيئا في الكون إلا لغاية وهدف، فتجد مدى الترابط والتناسب بين مطلع السورة وخاتمتها.

قال الرازي: "﴿ ٱلۡعَزِيزُ ﴾ يدل على القدرة من عزَّ إذا غلب، و﴿ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ على الحكمة"(٣).

قال الشوكاني: "﴿ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ أي الغالب القاهر ذو الحكمة الباهرة"(١)أ.ه.

******

(٢) تفسير الخازن، (٧/ ١٠٣).
(٣) تفسير الرازي، (ص: ٤٤٧٨).
(١) فتح القدير، (٥/ ٣٣٥).

ثانيا: مناسبة أول سورة المنافقون لخاتمتها

عند التأمل في مطلع سورة المنافقون وخاتمتها نجد مدى الترابط والتناسب بينهما، ويتجلى ذلك مما يلي:

أولا: افتتحت سورة المنافقون بكشف صفات المنافقين القبيحة، وأفعالهم الخبيثة، من الكذب والخداع، والحلف بالأيمان الكاذبة، وتأكيدها، كما في قوله عز وجل: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾ المنافقون: ١، وصفة الكذب من الصفات والأعمال التي تنافي صلاح النفس، وتهذيبها، واستقامتها.

ولذلك ختمت السورة بتمني المنافقين وقت الاحتضار أن يؤخرهم الله عز وجل في الدنيا مدة زمنية يتمكنوا فيها من فعل الصالحات، من الصدق والوضوح والأيمان الصادقة، وهو المشار إليه بقول الله عز وجل على لسان المنافقين: ﴿ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ المنافقون: ١٠، والصدق من الأعمال الصالحة، فكان التناسب والترابط بينهما واضحًا.

قال الثعالبي: "وقوله﴿ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ظاهره العموم"[٢].

ثانيا: في تذييل الآية الثانية من مطلع السورة كان التركيز على الحكم على أعمال المنافقين وصفاتهم بالسوء والقبح والخبث، حيث قال: ﴿ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ المنافقون: ٢.

قال أبو السعود: "﴿ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ من النفاق والصَّد"[١].

---

[٢] تفسير الثعالبي، (٤/ ٣٠٦).

[١] تفسير أبي السعود، (٨/ ٢٥١).

بينما ذيلت الآية الأخيرة من السورة بالتركيز على علم الله عز وجل وإحاطته الإحاطة الشاملة بأعمال المنافقين الخبيثة، كما في قوله عز وجل: ﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ المنافقون: ١١، والعلم والإحاطة بدقائق أعمالهم فيه تهديد ووعيد وتحذير لهم من عقابه يوم القيامة، فتجد مدى الترابط والتناسب بينهما.

قال ابن عاشور: "وَإِيثَارُ وُصْفِ خَبِيرٌ دُونَ عَلِيمٍ، لِمَا تُؤْذِنُ بِهِ مَادَّةُ خَبِيرٌ مِنَ الْعِلْمِ بِالْأُمُورِ الْخَفِيَّةِ، لِيُفِيدَ أَنَّهُ تَعَالَى عَلِيمٌ بِمَا ظَهَرَ مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَا بَطَنَ، مِثْلَ أَعْمَالِ الْقَلْبِ الَّتِي هِيَ الْعَزَائِمُ وَالنِّيَّاتُ"[٢]أ.ه.

ثالثا: في مطلع السورة وصف المنافقين إجمالا بأنهم يصدون عن سبيل الله عز وجل، كما في قوله عز وجل، ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ المنافقون: ٢. ولقوة صدِّهم ومكرهم وحقدهم وصفهم الله عز وجل بشدة عداوتهم للمسلمين، وحصر العداوة فيهم، وحذَّر من الركون إلى خداعهم، ودعا عليهم باللعن والطرد من رحمته، كما في قوله عز وجل: ﴿ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴾ المنافقون: ٤.

قال الألوسي: "﴿ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾ أي من أراد الدخول في دين الإسلام، أو من أراد فعل طاعة مطلقًا"[١]أ.ه.

قال الزمخشري: " ﴿ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ ﴾ أي الكاملون في العداوة.. ﴿ فَٱحۡذَرۡهُمۡ ﴾ ولا تغترر بظاهرهم..﴿ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ ﴾ دعاء عليهم، وطلب من

---

[٢] التحرير والتنوير، (٢٨/ ٢٥٦).

[١] روح المعاني، (٢٨/ ١١٠).

ذاته أن يلعنهم ويخزيهم، أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك، ﴿ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ كيف يعدلون عن الحق تعجبًا من جهلهم وضلالتهم"[٢]أ.ه.

وفي ختام السورة بدأ يُفصِّل طرق ووسائل وكيفية صد المنافقين عن دين الله عز وجل، **والتي منها:** التحريض بمنع النفقة عن المهاجرين والملتفين حول النبي صلى الله عليه وسلم، لتفريق المسلمين، وضعف الدعوة الإسلامية، والقضاء عليها في مهدها، كما في قوله عز وجل: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ﴾ المنافقون:٧.

ومنها أيضا: إضفاء العظمة والعزة على أنفسهم، والتحقير من شأن المؤمنين، وصنع المكائد والمؤامرات لإخراجهم من المدينة المنورة، كما قال عز وجل: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾ المنافقون: ٨ .

يقول الدكتور محمد سيد طنطاوي: " إن هؤلاء المنافقين لن يغفر اللّه – تعالى – لهم ، لأنهم فسقوا عن أمره، ومن مظاهر فسوقهم وفجورهم، أنهم أيدوا زعيمهم في النفاق، عندما قال لهم: لا تنفقوا على من عند رسول اللّه من فقراء المهاجرين، ولا تقدموا لأحد منهم عونا أو مساعدة، حتى ينفضوا من حوله، أي: حتى يتفرقوا من حوله. يقال: انفض القوم: إذا فنيت أزوادهم..وليس مرادهم حتى ينفضوا ويتفرقوا عنه.. وإنما

[٢] تفسير الكشاف، (٤/ ٥٤٣).

مرادهم: استمروا على عدم مساعدتكم لهم، حتى يتركوا المدينة، وتكون مسكنا لكم وحدكم"[1].

ومنها أيضا: تملك الدنيا وحبها من قلب المنافقين، والانشغال بالمال والأولاد، عن الإيمان بالله ورسوله، والطاعة وذكر الله عز وجل، كما في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾ المنافقون: ٩. فكانت المناسبة قوية، والعلاقة وطيدة بينهما.

قال السيوطي في بيان مناسبة أول السورة بخاتمتها: "المنافقون: في أولها: ﴿ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴾، وفي آخرها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾"[2]أ.هـ.

رابعا: في مطلع السورة ذكر حقيقة المنافقين ــ الذين يعلنون الإيمان ويبطنون الكفرــ فحكم عليهم بالكفر وإغلاق القلوب، وفساد العقول وخمولها، كما في قوله عز وجل: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٣ ﴾ المنافقون: ٣.

قال ابن كثير: "أي إنما قدر عليهم النفاق لرجوعهم عن الإيمان إلى الكفران، واستبدالهم الضلالة بالهدى، فطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون، أي فلا يصل إلى قلوبهم هدى ولا يخلص إليها خير فلا تعي ولا تهتدي"[3].

---

[1] التفسير الوسيط للقرآن الكريم، (١٤/ ٤١٠).

[2] مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، (ص: ٧١).

[3] تفسير ابن كثير، (٤/ ٤٤٢).

وفي ختام السورة ذكر أن من كانت هذه صفاته وأفعاله كان مصيره الخسران والجحيم يوم الجزاء، كما في تذييل الآية: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ المنافقون: ٩. فكان الترابط قويًا، والعلاقة وطيدة بينهما.

قال البيضاوي: "﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ لأنهم باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني"[1]أ.ه.

خامسا: في مطلع السورة وصف الله عز وجل هيئات المنافقين، وأشكالهم، وأجسامهم، وحديثهم، بالحسن والانجذاب والاستماع إليه، لمحاولة تأثيرهم في الخلق، مع حملهم لقلوب بغيضة، ونفوس خبيثة، كما في قوله عز وجل: ﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ ﴾ المنافقون: ٤.

قال ابن عجيبة: "﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ ﴾ لضخامتها، ويروقك منظرُهم؛ لصباحة وجوههم..﴿ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴾ لفصاحتهم، وذلاقة ألسنتهم، وحلاوة كلامهم"[2]أ.ه.

قال أبو حيان: "وشُبِّهوا بالخُشُب لعزوب[3] أفهامهم، وفراغ قلوبهم من الإيمان، ولم يكن حتى جعلها مسندة إلى الحائط، لا انتفاع بها، لأنها

---

[1] تفسير البيضاوى، (٥/ ٣٤٣).

[2] البحر المديد، (٨/ ٧٠).

[3] عزب عزوبا: أي غاب. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ٤٥١٧/٧، مادة:"عزب".

إذا كانت في سقف أو مكان ينتفع بها، وأما إذا كانت غير منتفع بها فإنها تكون مهملة مسندة إلى الحيطان أو مُلْقاة على الأرض قد صففت"[٤]أ.ه.

وفي ختام السورة ذكر أن هؤلاء المنافقين الذين كان يُسمع لهم، ويُتأثر بحديثهم في الدنيا، لا قيمة ولا وزن لهم ولقولهم في الآخرة ومقدماتها، وذلك عندما يُقابَل قولُهم ورجاءُهم الرجعة عند الموت بالرفض والمنع، كما قال الله عز وجل على لسانهم وقت الاحتضار: ﴿ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ المنافقون: ١٠ . فيأتي الرفض والمنع بعده مباشرة في قوله عز وجل: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ المنافقون: ١١ .

قال الألوسي: "﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا ﴾ أي ولن يُمْهلها ﴿إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ﴾ أي آخر عمرها أو انتهى الزمان الممتد لها من أول العمر إلى آخره"[١]أ.ه.

ويماثله في سورة البقرة قوله عز وجل: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٠٤ – ٢٠٦. فكان التناسب واضحًا، والترابط قويًا، مما يدل على إعجاز القرآن الكريم، وشدة إحكام آياته وتلاحمها.

---

[٤] تفسير البحر المحيط، (٨/ ٢٠٤).

[١] روح المعاني، (٢٨/ ١١٨).

ثالثا: مناسبة أول سورة التغابن لخاتمة سورة المنافقون

من إعجاز القرآن الكريم، إحكام وتناسب سوره، بحيث يُكْمل بعضُها بعضًا، ويترتب بعضها على بعض، في موضوعاتها وأغراضها ومقاصدها، ومن دلائل قوة الترابط بين السورتين، وتوليد الأفكار، وترتيب وتسلسل بعضها على بعض، المناسبة القوية بين أول السورة وخاتمة ما قبلها، وكأن الأفكار تسلم بعضها بعضًا، ومن هذه المناسبات مناسبة أول سورة التغابن لخاتمة سورة المنافقون، **ويتجلى ذلك فيما يلي:**

أولا: في ختام سورة المنافقون حضٌّ للناس على ذكر الله عز وجل، والثناء عليه، والحمد له، ونهيهم عن كل ما يشغلهم ويمنعهم عن ذلك من أموالهم وأولادهم، كما في قوله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾ المنافقون: ٩.

ثم جاءت الآية في مطلع سورة التغابن تبين للناس جميعا تسبيح الكون وما فيه من جمادات لله عز وجل، وتنزيهه عن كل نقص، ووصفه بكل كمال يليق به، كما في قوله عز وجل: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ ﴾ التغابن: ١، والتسبيح والتنزيه ذكر لله عز وجل.

قال البقاعي: "ولما كان الخطاب مع من تقدم في آخر المنافقين ممن هو محتاج إلى التأكيد، قال مؤكدا بإعادة الموصول: ﴿ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ أي كذلك بدلالتها على كماله واستغنائه"[1]أ.ه.

---

[1] نظم الدرر، (٨/ ٣).

فإذا كان الكون كله بما فيه من جمادات وحيوانات ونباتات وأنهار في حالة تسبيح دائم ومستمر، بلغة لا يفهمها إلا الله عز وجل، كما في قوله: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ ﴾ الإسراء: ٤٤، فكيف بكم أيها الناس تشغلكم أموالكم وأولادكم عن ذكره، والإيمان به، وعبادته، وطاعته، وقد كرَّمكم وحباكم بالعقل والاختيار، وسخَّر لكم الكون لمنفعتكم؟

قال الرازي: " وأما الأول بالآخر فلأن في آخر تلك السورة التنبيه على الذكر والشكر كما مر، وفي أول هذه إشارة إلى أنهم إن أعرضوا عن الذكر والشكر قلنا من الخلق قوم يواظبون على الذكر والشكر دائماً، وهم الذين يسبحون كما قال تعالى: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ ﴾"[1].

قال ابن عاشور: "فالمعنى: يسبح لله ما في السماوات والأرض وأنتم بخلاف ذلك"[2].

ثانيا: في ختام سورة المنافقون قسَّم الله عز وجل الناس إلى قسمين: منافقين ــ الكفر الباطني ــ ومؤمنين، فتحدَّث عن الكفر الباطني، وأصحابه من المنافقين، وفضَح أعمالهم القبيحة، كما في قوله عز وجل: ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ۝٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٨ ﴾ المنافقون: ٧ – ٨، وعن المؤمنين وحضَّهم على الذكر،

---

[1] تفسير الرازي، (٣٠/ ١٩).

[2] التحرير والتنوير، (٢٨/ ٢٣٣).

ونهاهم عن الانشغال بالأموال والأولاد، كما في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾ المنافقون: ٩.

بينما في مطلع سورة التغابن قسَّم الناس إلى كافرين كفرا ظاهريًا ومؤمنين، كما في قوله عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ ﴾ التغابن: ٢.

قال أبو حيان: "ومناسبة هذه السورة لما قبلها: أن ما قبلها مشتمل على حال المنافقين، وفي آخرها خطاب المؤمنين، فأتبعه بما يناسبه من قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ ﴾"[1].

وقال الرازي: "وجه التعلق بما قبلها ظاهر، لما أن تلك السورة للمنافقين الكاذبين، وهذه السورة للمنافقين الصادقين"[2]أ.هـ.

ثالثا: في ختام سورة المنافقون أشار إلى مقدمات الموت، وما يحدث فيه من الندم على فوات العمل الصالح، وطلب الإمهال، والإرجاع، في وقت لا ينفع فيه الندم ولا التأخير ولا العمل، وهو شأن الدار الآخرة، التي لا تكليف فيها ولا عمل، ما دام رجع العبد لربه. كما في قوله عز وجل على لسان النادمين: ﴿ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ ﴾ المنافقون: ١٠ – ١١.

---

[1] تفسير البحر المحيط، (٨/ ٢٧٣).

[2] تفسير الرازي، (ص: ٤٤٧٤).

وفي مطلع سورة التغابن أشار إلى رجوع العباد إليه وحده يوم القيامة للحساب وليس للعمل، كما في تذييل الآية: ﴿ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ التغابن:٣.

قال القرطبي: "﴿ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ أَيِ الْمَرْجِعُ، فَيُجَازِي كُلًّا بعمله"[٣]أ.ه.

رابعا: في ختام سورة المنافقون، ذيل الآية الأخيرة بتهديد الناس وتوعدهم بذكر مدى إحاطته عز وجل وإدراكه بدقائق أعمالهم، كما في قوله: ﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ المنافقون: ١١.

بينما في مطلع سورة التغابن ركَّز على شمولية علمه عز وجل، لكل الكائنات الكائنة في السموات والأرض، ولأعمال العباد، حتى إنه يعلم السر وأخفى، وما يدور في القلوب من خواطر وأفكار، ويتجلى ذلك في قوله: ﴿ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ التغابن: ٤.

قال أبو السعود: "وقوله تعالى﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ اعتراض تذييلي، مقرِّر لما قبله من شمول علمه تعالى لسرِّهم وعلنهم، أي هو محيط بجميع المضمرات المستكنة في صدور الناس بحيث لا تفارقها أصلا، فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما يعلنونه"[١]أ.ه.

---

[٣] تفسير القرطبي، (١٨/ ١٣٤).

[١] تفسير أبي السعود، (٨/ ٢٥٦).

خامسا: في ختام سورة المنافقون أشار إلى صفات الخاسرين في الدنيا والآخرة، من المنافقين والكافرين الذين منعتهم أموالهم وأولادهم عن الإيمان بالله ورسوله، عُلُوًّا وتكبُرًا، كما في قوله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ ﴾ المنافقون: ٩.

وفي فتح البيان في مقاصد القرآن: "﴿ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ﴾ أي يَلْتَهِ بالدنيا عن الدين، ويشتغل بها عما ذكر ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ أي الكاملوا الخسران في تجارتهم، حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني"[٢].

بينما في مطلع سورة التغابن أشار إلى حقيقة الخسران وهو الهلاك والعذاب في الدنيا والآخرة، كما حدث لمكذبي الأمم السابقة، ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ فَذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٥ ﴾ التغابن: ٥.

قال الرازي: "اعلم أن قوله : ﴿ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ خطاب لكفار مكة، وذلك إشارة إلى الويل الذي ذاقوه في الدنيا، وإلى ما أعد لهم من العذاب في الآخرة"[١] أ.ه.

******

[٢] فتح البيان في مقاصد القرآن، (١٤/ ١٥٣).

[١] تفسير الرازي، (ص: ٤٤٧٦).

الخاتمة

من خلال معايشتي لهذا البحث، توصلت إلى نتائج أهمها:

١ــ قلة عدد المفسرين الذين عُنوا بعلم المناسبة في تفاسيرهم، كالبقاعي، والرازي، والسيوطي.

٢ــ علم المناسبة يعتمد على قوة الملاحظة، وإعمال العقل، وحسن التدبر والتأمل، ولذلك تختلف المناسبة من مفسِّر لآخر.

٣ــ يستخرج من المناسبات والروابط لطائف ودقائق ونكات، لا يستنبطها إلا العلماء المتقنون العاملون.

٤ــ علم المناسبة يقودك إلى مقاصد جزئية وكلية للقرآن الكريم، والتي بدورها تعمل على هداية البشرية.

٥ــ القرآن بناء محكم، تترابط أجزاؤه وتتآلف، وهذا وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم.

المقترحات:

١ــ عناية طلاب الدراسات العليا بعلم المناسبة، وتطبيقه على سور القرآن الكريم وآياته، ليستنبط الدارس الدرر الكامنة تحت الروابط والمناسبات، ولتذوق جمال القرآن، وليدرك وجه إعجازه.

٢ــ ربط علم المناسبة بالجانب العملي لتدريب الطلاب على استخراجها، ضمن مادة علوم القرآن الكريم، التي تدرس لطلاب الإجازة العليا، ليتمرس الطلاب على التدبر والتفكر في آيات وسور القرآن الكريم.

******

فهرس المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم.

١. الإتقان في علوم القرآن للحافظ السيوطي ، ط : دار الفكر ، ت : سعيد المندوب .

٢. أساس البلاغة، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، المتوفى: ٥٣٨هـ،تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٣. الأصلان في علوم القرآن، تأليف: الدكتور/ محمد عبد المنعم القيعي، الناشر: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، الطبعة الرابعة مزيدة ومنقحة، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٤. الإمام البقاعي ومنهجه في تأويل بلاغة القرآن، المؤلف: محمود توفيق محمد سعد، أستاذ البلاغة والنقد ورئيس القسم في كلية اللغة العربية جامعة الأزهر الشريف شبين الكوم، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

٥. بحر العلوم، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، دار النشر: دار الفكر – بيروت، تحقيق: د.محمود مطرجي.

٦. البحر المديد، المؤلف: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، دار النشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الثانية ـ ٢٠٠٢ م ـ ١٤٢٣هـ.

٧. البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي ، ط : عيسى البابي الحلبي ، الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ ، ت : محمد أبو الفضل إبراهيم .

٨. التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ط : دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧م.

٩. أحكام القرآن لابن العربي، المؤلف: محمد بن عبد الله الأندلسي (ابن العربي)، الناشر: دار الكتب العلمية.

١٠. تفسير ابن كثير، تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢: ١٤٢٠هـ، ت: سامي بن محمد سلامة.

١١. تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، المؤلف: محمد بن محمد العمادي أبو السعود، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٢. تفسير البحر المحيط لأبي حيان، ط: دار الكتب العلمية، ط ١ : ١٤٢٢هـ ، ت: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد عوض.

١٣. تفسير البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، المتوفى: ٦٨٥هـ، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ.

١٤.تفسير الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت.

١٥.تفسير الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، المتوفى: ٧٤١هـ، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ.

١٦.تفسير الرازي، مفاتيح الغيب للإمام العالم العلامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، ط : دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ : ١٤٢١هـ.

١٧.تفسير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن للإمام محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ، أبـــو جعفر الطبري ، ط: مؤسسة الرسالة ، ط١ : ١٤٢٠هـ ، ت : الشيخ أحمد شاكر.

١٨.تفسير القاسمي، محاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، المتوفى: ١٣٣٢هـ، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

١٩.التفسير القرآني للقرآن، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب، المتوفى: بعد ١٣٩٠هـ، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.

٢٠.تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، المتوفى: ٦٧١هـ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة.

٢١.تفسير الكشاف، الكشاف عن حقائق التأويل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لجار الله الزمخشري ، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ت : عبد الرزاق المهدي.

٢٢.التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، الطبعة: الأولى.

٢٣.التفسير والمفسرون، الدكتور محمد السيد حسين الذهبي، المتوفى: ١٣٩٨هـ، مكتبة وهبة، القاهرة.

٢٤.روح البيان، المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء، المتوفى: ١١٢٧هـ، الناشر: دار الفكر – بيروت.

٢٥.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف : محمود الألوسي أبو الفضل، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٦.شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، المؤلف: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد

الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

٢٧.صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٨.فتحُ البيان في مقاصد القرآن، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

٢٩.فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، المتوفى: ١٢٥٠هـ، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ ه.

٣٠.لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي، المتوفى: ٧١١هـ، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.

٣١.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ، ط : دار الكتب العلمية، ط١ : ١٤١٣هـ ، ت : عبد السلام عبد الشافي.

٣٢.مختار الصحاح: المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، المتوفى: ٦٦٦ه، المحقق:

يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠ ه ــ ١٩٩٩ م.

٣٣.مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع – بحث في العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتيمها، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، قرأه وتمَّمَه: د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، الناشر: مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ.

٣٤.معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر : دار الفكر، الطبعة : ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٣٥.مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ الزرقاني ، ط : عيسى البابي الحلبي وشركاؤه .

٣٦.النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، المؤلف: محمد بن عبد الله دراز، المتوفى : ١٣٧٧هـ، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدم له: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، الناشر: دار القلم للنشر والتوزيع.

٣٧.نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، المتوفى: ٨٨٥هـ، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

فهرس المحتويات

م	الموضوع
١	مقدمة
٢	المبحث الأول: تعريف المناسبة، وأهميتها، وأنواعها.
٣	المبحث الثاني: الغرض العام لسورتي التغابن والمنافقون.
٤	المبحث الثالث: الأغراض الجزئية لسورة التغابن ومناسبتها لسورة المنافقون.
٥	المبحث الرابع: المناسبة بين مطلع السورة وخاتمتها.
٦	الخاتمة
٧	فهرس المصادر والمراجع
٨	فهرس المحتويات